بعد أن هدأت العاصفة..

ماذا يعني وسام الأرز برتبة فارس معلقاً على صدر كريم مروة ؟

حسين محمد عجيل

كريم مروة أصبح الشيوعي العربي الوحيد الذي يحصل على أعلى وسام منحته دولة عربية لأحد مواطنيها، فبعد أكثر من ثمانين عاماً على تأسيس الحزب الشيوعي في لبنان تقرر الدولة اللبنانية أن تكون رائدة في تكريم أحد قياديي هذا الحزب ورموزه. المفارقة الغريبة في الحفل الذي قلّد فيه وزير الثقافة اللبناني نيابة عن رئيس الجمهورية مروة وسام الأرز اللبناني بدرجة فارس، حديث جورج حاوي الأمين العام السابق للحزب الشيوعي اللبناني الذي استغل هذه المناسبة ودعا الدولة إلى أن تعامل شهداء الحزب وجرحاه وأسراه بالدرجة نفسها التي تعامل بها غيرهم من اللبنانيين. هل هي صحوة متأخرة، وناقصة على هذا النحو الفادح الذي أشار إليه حاوي، لإحدى الدول العربية الرائدة في مجال الديمقراطية وحقوق الإنسان أن تكرّم بوسام، هو الأغلى في خزاناتها، رمزاً من رموز اليسار، هذا الأخير الذي كان يُنظر إليه، إجمالاً، على أنه شرّ لا بد منه في أحسن الأحوال، ومورس ضده التهميش والإقصاء طوال وجوده، برغم أنه كان واحداً من أهم العناصر التي أسهمت تاريخياً بأدوار إيجابية في تشكل كيانات معظم الدول العربية الحالية وتطورها ثقافياً وسياسياً؟ وهل للاجتياح الأمريكي للمنطقة وانقضاضه على دولة ذات نظام شمولي دمويّ كالعراق، والخوف من تحرك القطار الأمريكي ذات اليمين وذات الشمال دور مباشر أو غير مباشر في هذا الالتفات الرسمي المتأخر؟ بالتأكيد أن هذه التساؤلات حول فحوى التكريم وتوقيته ودلالاته لا تقلل أبداً من شخصية كبيرة بحجمها ودورها وتاريخها، شخصية بنزاهة كريم مروة إذا شئنا الاختصار؟

وإذ مرت العاصفة التي أثارها هذا التكريم، وقالت كل جهةٍ في لبنان وخارجه ما أرادت قوله، وأوّل كل مؤوّل الأمر حسبما رآه، ها نحن نعود لنطرح السؤال من جديد: ماذا يعني وسام الأرز برتبة فارس معلقاً على صدر كريم مروة؟

نقطة البداية

تفتح وعي كريم مروة في بغداد التي قضى فيها دارساً أكثر من سنتين، حيث كان قريبه المفكر المعروف حسين مروة مقيماً. وهناك انتسب إلى الحزب الشيوعي ونشر أول مقال له في كانون الثاني ١٩٤٨ على صفحات جريدة (الرأي العام) التي أصدرها الجواهري بعنوان (لا بد من ثورة). وأقام علاقات واسعة مع الجواهري والسيّاب وبلند الحيدري ونزار سليم ونازك الملائكة وكامل الجادرجي وسائر المثقفين والأدباء والسياسيين، وهي محطة اعتبرها مروة من المحطات الأساسية التي كوّنت شخصيته، ليلج المرحلة الأهم في حياته بمحطاتها الأشدّ تأثيراً، والتي حاول فيها طوال ستة وخمسين عاماً أن يوفق بين مجموعة من المتناقضات الحادة التي وجد نفسه إزائها، فبين انتمائه اجتماعياً إلى عائلة أشبه ما تكون بحوزة دينية، كما يقول وهو يحصي علماءها وفقهاءها خلال أربعة أجيال، حملت ميراثاً دينياً على امتداد عقود متطاولة، وبين انتمائه سياسياً في مطلع شبابه إلى الحزب الشيوعي، كان على مروة أن يجد صلاتٍ مقنعة، له أولاً وللمحيط الذي ينتمي إليه ثانياً، بين الانتماء الاجتماعي المحكوم به والانتماء السياسي المختار بملء الإرادة. وهو أمرٌ لم يحقق فيه نجاحاً كبيراً على مستوى محيطه في الأقل. يقول في آخر حوار له قبل التكريم: (حاولت نسج علاقة بين قيم الدين وقيم الاشتراكية، وكنت دائم التفكير حول كيفية بلورة هذه العلاقة، إلى أن بدأت عندي في أواخر الستينيات ومع بداية السبعينيات فكرة تقول: ينبغي ألا يكون هناك تناقض بين المؤمنين المنتسبين إلى أديان وبين فكرة الاشتراكية، لأن هذه الأخيرة ليس لها علاقة بالخصوصيات، الإيمان وعدمه مسألة شخصية، أما النضال من أجل التغيير فهذا يشارك فيه الجميع.)

فضلاً عن هذا حاول كريم مروة أن يمنح لنفسه مساحةً للاشتغال في قضايا عربية ذات طابع قومي غرّد فيها على بعد نسبي عن سربه الأممي. وبين هذه الأركان الثلاثة التي وجد مروة نفسه مسؤولاً عن فك (تناقضاتها الظاهرية) وما تراكم عليها من ترسبات وسوء فهم قصدي وغير قصدي من جميع الأطراف، كان منجذباً بقوة إلى ركن رابع زاد من تشابكاته المعرفية تعقيداً ومنحها قيمة مضافة، يتمثل في نزعة ديمقراطية أصّلها في نفسه، وانفتاح اتسع منظاره للقبول بالآخر والتحاور معه بعد أن فتح جميع النوافذ على عقله بأقصى اتساعها، وإيمان بضرورة النقد الذي لا حدود له ما دام يبني. وهو ما تدرب عليه وطوّر من آلياته وأثبت نجاحا فيه على امتداد تجربته الفكرية والسياسية. بل انه مارس نقده لحزبه حتى قيل له أنك بهذا ستهدم الحزب.

كريم مروة، بهذا التوصيف، يشكل ظاهرة فريدة في الحياة السياسية والفكرية العربية تستحق أن تدرس من جوانبها كافة، لأنها تمثل بحق معادلاً موضوعياً لعصرها المضطرب بتحولاته وتعقيداته.

عودة إلى الوسام

ولكن لنعد إلى التكريم ذاته، فمروة من جانبه اعتبر أن التكريم جاء لينصف مبادئ يؤمن بها كثيرون، وتياراً سياسياً عريضاً يمثله، وانه وإن جاء متأخراً نحو ستين عاماً ولكنه جاء على أيةِ حال من دون أن يسعى إليه. وجاءت كلمة ممثل رئيس الجمهورية وزير الثقافة اللبناني غازي العريضي لتؤكد ما ذهب إليه مروة بقوله: (فالوسام لك ولهذا الحزب، ولهذه الحركة ووسام لكل المثقفين والمفكرين والمقاومين الشهداء منهم والجرحى).

هل هذا يعني في جملة ما يعنيه أن الدولة اللبنانية ـ باعتبارها أنموذجاً لدول عربية أخرى ـ تحاول التصالح مع قوى اليسار المعروف بعدائه المبدئي للسياسات الأمريكية لتأمين نفسها وترصين خنادقها في مجابهة الإعصار القادم الذي أسقط أعتى نظام في المنطقة وأخذ يلوح للجميع بمصير مشابه، أو فلنقل إن الدول العربية تحاول في الأقل أن تبدو، من الخارج، دولاً ديمقراطية تحارب الإرهاب والتطرف وتكرم القوى الديمقراطية التي تؤمن بالحوار وتداول السلطة والتقدم.

فلنلاحظ في الحالة اللبنانية - أنموذجنا ـ أن الأشهر القليلة السابقة على تكريم مروة شهدت تكريماً لفنان شيوعي بحق هو مارسيل خليفة، وقبله كرّم أنور ياسين الشيوعي المُحرَر من الأسر الإسرائيلي. وأن درجات الأوسمة الممنوحة لهؤلاء كانت تصاعدية فالوسام المعلق على صدر مروة كان أعلى وأغلى وسام يمكن أن تمنحه الجمهورية. هذه الملاحظة ندرجها في مقابل ملاحظة أخرى نبه إليها الكاتب عبده وازن وهي أن التكريم هذا جاء في أضعف حالة وصلت إليها الجمهورية اللبنانية، فالوسام على هذا يمثل دولة مكسورة الجناح. على أية حال أعتقد أن علينا، ونحن ننظر إلى هذا التكريم، تذكّر مصير شخصيتين عاشتا في دولتين بالمنطقة في ظروف مختلفة: الأولى هو فهد الزعيم التاريخي للحزب الشيوعي العراقي الذي أعدم ببغداد سنة ١٩٤٨ ولقي تلامذته ورفاقه من السلطات بعده، أكثر مما ذاقوا من جرعات في حياته. يكفي أن نقول أنه في الذكرى الخمسين لإعدامه عام ١٩٩٨ كانت المفارقة مرة وبليغة في آن، فقد استذكر (من تبقى) من شيوعيي العراق هذه الذكرى في نحو ثمانين دولة من قارات العالم نفوا إليها، ومرت الذكرى نفسها في العراق من دون أن ينتبه إليها أحد سوى من استذكرها مع عائلته داخل جدران بيوت حصينة تجاه من يحاول استراق السمع.

والثانية هي خالد بكداش الزعيم التاريخي (أيضا) للحزب الشيوعي السوري ـ اللبناني، الذي قضى في سجون سوريا أكثر من نصف عمره حتى مات وهو قيد الإقامة الجبرية. مروة على وفق هذه المقارنة البسيطة كان محظوظاً بأن يكرّم في حياته حتى من دون أن يضطر إلى تأليف كتابٍ بعنوان: (كنت شيوعياً)! هل يبدو هذا عزاءً لسياسي ومفكر كريم مروة؟

كلمة الاستاذ كريم مروة في الاحتفال التكريمي بمناسبة منحه وسام الأرز

الشكر الجزيل لفخامة رئيس البلاد العماد إميل لحود على هذا الوسام الذي منحني إياه. والشكر لمعالي وزير الثقافة الصديق الأستاذ غازي العريضي على مبادرته هذه وعلى مجمل مبادراته وعلى هذا الاحتفال التكريمي الذي خصني به. والشكر لأصدقائي على كلماتهم الطيبة وعلى ثقتهم الغالية التي أعتز بها، والتي آمل أن أكون في مستوى ما تشير اليه من تقدير. والشكر لكم أيها الأصدقاء والرفاق والأخوة الحضور جميعاً الذين جئتم من كل المواقع والاتجاهات الى هذا الحفل التكريمي الذي أعتبركم جميعكم شركاء حقيقيين لي فيه.

وبعد، فإن لهذا الوسام ولهذا الاحتفال التكريمي، كما أحب أن أفهمهما وأقرأ معانيهما، دلالة أود أن أتوقف عندها. وجوهر ما تشير اليه هذه الدلالة هو أن الدولة، دولتنا، بشخص رئيسها وبشخص وزير الثقافة في حكومتها، قد تنبهت، متأخرة ستين عاماً ونيف هي أعوام الاستقلال، الى ضرورة التذكر والتذكير معاً بأن تياراً سياسياً وفكرياً كبيراً وعريقاً هو التيار الذي أنتمي اليه، تيار التحرر الوطني والاجتماعي والتغيير الديمقراطي الحامل قيم الاشتراكية ومثلها، قد أسهم، منذ ثمانين عاماً من وجوده ونضالاته على جميع الجبهات، في بناء الدعائم الأولى لهذا الوطن الجميل لبنان، وفي الدفاع عن استقلاله وسيادته وحريته وتقدمه وتطوره الديمقراطي، ضد الغزاة من برابرة العصر الحديث وضد كل الطامعين بالسيطرة عليه وعلى مصيره وعلى مستقبله من كل الجهات والاتجاهات. وهذا التيار هو ذاته الذي عمل المنتمون اليه، على الدوام، بكل طاقاتهم، من أجل تدعيم وحدة هذا الوطن شعباً وأرضاً وكياناً ومصيراً، وعلى ترسيخ وتثبيت الديمقراطية فيه كنظام سياسي تعددي وكصيغة للعلاقات المتساوية بين أبنائه أينما كانوا، داخل الوطن وخارجه، والى أي خيار سياسي وفكري وعقائدي وديني انتموا. وبهذه المعاني السياسية والتاريخية التي أشير اليها فإن هذين الوسام وحفل التكريم إنما يعودان، في الأساس، قبل شخصي، الى رموز هذا التيار الذين أسسوا له وتابعوا النضال تحت رايته. وهؤلاء الرموز هم، في الميدان السياسي والاجتماعي والديمقراطي، فؤاد الشمالي وفرج الله الحلو ونقولا شاوي وأرتين مادويان ومصطفى العريس وسعد الدين مومنه وآخرون كثر. وهم، في الثقافة الديمقراطية في مجالاتها كافة، سليم خياطه ويوسف ابراهيم يزبك وعمر فاخوري ورئيف خوري وأنطون تابت وجورج حنا وحسين مروة ومهدي عامل وآخرون كثر. فإلى هؤلاء الكبار في تاريخ الحزب الشيوعي اللبناني وفي تاريخ الحركة الوطنية والديمقراطية اللبنانية وفي تاريخ لبنان، والى من يمثلونه وما يمثلونه قديماً وحديثاً، أقدم هذا الوسام الممنوح لي من دولتي ومن قادتها. واعتبر حفل التكريم هذا حفل تكريم لهم جميعاً.غير أنني لا أستطيع، وأنا في هذا المقام بصفاتي المتعددة، كمواطن لبناني أولاً، وكمناضل شيوعي عتيق لبناني وعربي وأممي، وكصاحب أراء ومواقف حددتها لي مراحل عديدة وطويلة من عمري غنية بالتجارب وحافلة بالأفكار والرؤى، لا أستطيع إلا أن أشير الى أمرين أرجو أن يلقيا اهتمام الدولة واهتمام أهل السياسة والثقافة في كل المواقع. الأمر الأول يتعلق بالصيغة التي يكرَّم بها من يستحقون التكريم من أبناء هذا الوطن. فإذا كان الوسام يشكل شهادة اعتراف من قبل الدولة بفضل وبدور أناس معنيين، فأن تكريم من أغنوا تراث الوطن في العمل السياسي والاجتماعي والفكري والادبي والفني، إنما ينبغي، في رأيي، أن يتخذ شكلاً آخر مختلفاً أشار اليه علامتنا الجليل الراحل الشيخ عبدالله العلايلي عندما منح وسام الدولة الرفيع، إذ قال بكثير من المرارة بأنه كان الأجدر بالدولة أن تهتم بتراثه الذي افنى عمره في الاجتهاد المضني لانجازه في مجالات اللغة والتاريخ والادب والفقه الديني المستنير، بدلاً من الوسام، أو استكمالاً مجدياً له. وما اكثر الرواد في تاريخنا القديم والحديث من امثال الشيخ العلايلي. الأمر الثاني يتعلق باهتمام الدولة بالثقافة في بلدنا، البلد الذي ينظر اليه الأشقاء العرب على أنه المركز العربي الاول في تعميم الثقافة وفي نشر الابداعات التي ينتجها لبنانيون وعرب في أربع جهات المعمورة. ذلك إن إنشاء وزارة للثقافة من دون ميزانية تؤمن الشروط لتحقيق برنامج ثقافي حقيقي كجزء من سياسة ثقافية ديموقراطية إنما يفقد هذه الوزارة الكثير من أهميتها وأهمية دورها كداعم للنشاطات الثقافية ولإبداع المثقفين، على قاعدة الحرية الكاملة لهؤلاء المثقفين والاستقلال التام في عملهم الإبداعي، الاستقلال عن اي تأثير مباشر او غير مباشر عليهم، مادياً ومعنوياً، سواء من سلطات الدولة ذاتها او من سلطات المال والاعمال او من السلطات الدينية على اختلافها. وأعتقد أن معالي وزير الثقافة متفق معي في هذا الأمر.واذ اشير الى هذين الامرين في هذه المناسبة فلكي اتابع القول بان الاعوام الخمسة والسبعين التي انقضت من عمري قد علمتني ما لم اكن قادراً على تعلمه لولا الموقع الذي دفعتني اليه طموحاتي المبكرة لإقتحام ميادين العمل في خدمة وطني لبنان وفي خدمة القضايا العربية وفي المقدمة منها قضية فلسطين التي احتلت على الدوام ومنذ الطفولة موقعاً خاصاً في عقلي ووجداني. وهذا الموقع هو الذي تعمقت من خلاله معرفتي بتراثنا الثقافي والنضالي، وبالتراث الإنساني، واغتنت به شخصيتي ومجمل ما اتمتع به في هذه الايام من تجارب وافكار واحلام مستقبلية. غير انني اود ان اعترف امامكم بأن اتساع المعارف والمدارك وكثرة التجارب التي تكدسها الاعوام الطويلة والنضج الذي يتأسس على تلك المعارف والتجارب لا تحصن كبار السن مثلي من الوقوع في الخطأ، كما لا تحصن الأحزاب وقادتها والمشاريع الكبرى ولا تحصن مطلقيها والمناضلين من أجل تحقيقها. وما أكثر ما ارتكبت أنا شخصياً من أخطاء، بالمفرد وبالجمع، لا أدري متى وكيف سيحاسبني وسيحاسب رفاقي عليها التاريخ. واذا كان قد مر زمن كنا نعتبر فيه، نحن الشيوعيين، اننا نمتلك الحقيقة اكثر من سوانا، وحتى من دون سوانا، بالنظر لكوننا نتفرد بالاستناد الى مرجعية علمية هي الماركسية، فإن الحياة قد اثبتت لي ولكثيرين من رفاقي وزملائي، من جيلي ومن اجيال اكثر شباباً، المنتمين الى الاشتراكية كفكر وكمشروع سياسي للتغيير الديمقراطي، بأن الحقيقة ليست، ولا يمكن ان تكون، حكراً على فكر دون سواه مهما كان عظيماً، وان مصادر المعرفة وآليات امتلاكها لا تنحصر هي الأخرى في جهة من الجهات ولا في اتجاه محدد بعينه. فقد اكتشفنا متأخرين بعض الوقت بأن السمة الاساسية للحياة البشرية، على مستوى الافراد والجماعات وعلى مستوى الدول كافة، هي التعدد والتنوع والاختلاف. واكتشفنا في الوقت عينه ان تجاوز هذا القانون الموضوعي انما يدخل، في التصنيف للاشياء، في عداد التعسف بالنسبة لأصحاب المشاريع الكبرى وقادة الحركات الاصلاحية، وفي عداد الاستبداد، بالنسبة للانظمة ولسلطاتها. وهو تجاوز، هنا وهناك، لا بد أن ياتي زمن يعاقب فيه المسؤولون عنه، وتعاقب الأحزاب والحركات التي تتسامح معه، وتعاقب الشعوب التي تسمح، ولو كرهاً، بوجوده وباستمراره طويلاً، فيدفع هؤلاء وأولئك الثمن مرتين. أليس هذا هو مصير المشروع الاشتراكي الذي انهار؟ اليس هذا هو مصير العراق وشعبه اليوم؟

ولذلك فانني اعتبر ان اهم ما تعلمته في العقدين الاخرين من عمري هو ضرورة الانخراط في المهمة الصعبة عليّ وعلى الجميع من دون استثناء، داخل حزبي وعند كل الأحزاب والمؤسسات والتجمعات، مهمة التحرر، بالنسبة اليّ، من التباسات تاريخنا القديم والدخول في تاريخ جديد تشكل فيه الديموقراطية بمعانيها المتعددة الاساس في علاقاتي الخاصة والعامة، وفي ممارسة النقد الحقيقي للذات، وفي المراجعة النقدية لتجاربنا، وفي البحث الدائم عن مستقبل أفضل لبلداننا، البحث مع الاخرين، الآتين الى هذه المهمة التاريخية من مواقع ومرجعيات فكرية وسياسية وعقائدية مختلفة. واود ان اعترف، هنا، بأن هذه المهمة صعبة وشاقة وطويلة. فالديموقراطية التي يتحدد جوهرها بالاقرار بالتعدد والتنوع والاختلاف، هي ثقافة نحن بحاجة الى أن نتعلمها ونتمثلها جميعنا، وان نعد أنفسنا لدفع الثمن الضروري لغيابها من حياتنا ومن وعينا زمناً طويلاً. وعلينا أن ندرك بوضوح بأن

تخلفنا عن الدخول في هذه الثقافة وتخلفنا عن الشروع في عملية تجديد أفكارنا وسياساتنا وبرامجنا وآليات عملنا، سيجعلنا مسؤولين قبل سوانا عما سيحصل لبلداننا من كوارث، سواء من داخلها بفعل الاستبداد والفساد والتخلف، أو من خارجها بفعل التدخل السياسي والاقتصادي وحتى العسكري، تحت ذرائع مختلفة، الذي يقوم به سادة العالم الجدد خدمة لمصالحهم الرامية الى السيطرة على العالم. ولن تسعفنا حين يحصل هذا التدخل غصباً عنا لا شعاراتنا الكبرى ولا صيحات الاستنكار ولا المظاهرات ولا العمليات الانتحارية. سأظل احلم، وانا في عمري هذا، مثلما كنت احلم في ايام شبابي.

لكن الحلم الحقيقي الموصل إلى الغايات الكبرى هو بالتحديد وبالتأكيد ذلك الذي ستنخرط فيه الاجيال الشابة، التي إذ تناضل من أجل صنع مستقبلها فإنها تساهم في صنع مستقبل بلدانها. وحين ستتقدم تلك الأجيال لاقتحام تلك المهمة التاريخية لن أكون أنا وامثالي سوى جنود في جيش تلك الاجيال، حتى ولو ادعى البعض منا، وانا واحد منهم، انهم يملكون رؤية مستقبلية اكثر معاصرة وحداثة وأكثر شباباً من الشباب.شكراً لكم من القلب، يا فخامة الرئيس ويا معالي الوزير ويا أيها الأصدقاء والرفاق جميعاً.

كلمة الاستاذ فيصل دراج في الاحتال التكريمي

اتساق متعدد الوجوه

سيداتي سادتي
السيد وزير الثقافة
الحضور الكريم

وجوه كثيرة، في شخصية كريم مروة، تثير فضولاً يمازجه الاحترام. فقد اختار، منذ زمن، دوراً يتفق مع شخصيته، يكون فيه سياسياً بين المثقفين، ومثقفاً بين العاملين في حقل السياسة. ولم يكن في الدور، الذي شاءه، بحث عن التميز، بقدر ما أنطوى على أشكال من النزاهة والقلق والمسؤولية. ذلك أن الحديث في السياسة، أي في تغيير الواقع، يظل مربكاً ومرتبكاً بلا وضوح فكري يتكيء عليه، مثلما أن الوضوح المفترض يبقى مجزوءاً، برغم النزاهة وفضيلة الاجتهاد. ولعل هذا القلق النزيه، الذي لا يؤمن باحتكار الحقيقة، هو ما أخذ بيد كريم إلى حقل الثقافة، بمعنى محدد، وجعله موزعاً على عالم الساسة وعالم المثقفين في آن.

أعلن مروة عن انتسابه إلى معنى الثقافة باكثر من طريقة: سجاله الدؤوب مع ذاته وغيره ومع القضايا المستجدة، التي لا تقبل بالإجابات الجاهزة، ولا بالتعاليم المدرسية المتقادمة. القبول بمبدأ الحوار، الذي يتضمن الاعتراف الواضح بالأنا والاعتراف الأكثر وضوحاً بأنا الآخر، بغية الوصول إلى اعتراف متبادل حقيقي بين الطرفين يفضي، في النهاية، إلى أغراض مشتركة مثمرة. وفي مبدأ الحوار، الذي يرى في موضوعية الاختلاف مبتدأ، كان كريم، ولا يزال، يفصح عن تصور ديمقراطي للثقافة وللسياسة، ويتطلع، لزوماً، إلى مجتمع ديمقراطي، يتعامل مع الإنسان الحر، دون إضافات خارجية. ولعل هذا التصور، الذي لازم، منذ عقود ثلاثة ربما، هو الذي ألزمه، في زمن مضى، أن يكتب كثيراً، ومن موقع المسؤولية، عن أزمة حركة التحرر العربية، بلغة ليست من هذا الزمان، وأن يتفق ويختلف مع الفلسطينيين، وأن يستنهض، قدر ما استطاع، حواراً حول الماركسية، التي واظب على اقتناعه بها، وأن يتبادل الأفكار مع أطراف لا تقبل بما اقتنع به. في هذا كله، كان كريم بعيداً عن الأفكار المغلقة، مؤمناً بأن الأفكار تشيخ كالبشر، وأن شيخوخة البشر لا تمنع عنهم أفكاراً جديدة، وأن على الإنسان المسؤول، في أطواره المختلفة، أن يختبر الصواب وأن يعاين الخطأ.

وإذا كان في مبدأ الحوار، كما في استقدام أفكار جديدة والتخلي عن أخرى متقادمة، ما يحيل على معنى الثقافة، فإن هذه الإحالة تبدو واضحة جلية في موقع متميز عنوانه: وحدة الفكر والممارسة، حيث الفعل لا ينفصل عن القول. ولا الإنسان عن هوية فكرية - سياسية شكلها في عقود متوالية، ولا المفرد عن المجموع الذي انتسب إليه. تترجم الثقافة ذاتها، في حالة كريم، جملة من القيم الأخلاقية والمعنوية والجمالية، بعيداً عن المعارف المتراكمة المكتفية بذاتها، التي لا تنتسب، بالضرورة، إلى الفضيلة. إنها جمالية الاتساق، التي تشتق جوهر الثقافة من إنسان نزيه، ينكر التشاطر والمخادعة، ولا يأتلف مع عوالم مغايرة، أنيقة المظهر ومحشوة بالغبار.

جعل هذا الاتساق، المتعدد الوجوه، كريم مروة مثقفاً لبنانياً في الثقافة العربية، ومثقفاً عربياً في الثقافة اللبنانية، أي جعله مثقفاً حقيقياً في الدائرتين معاً. وهذا ما أتاح له أن يكتب، طليقاً، عن الجواهري وإميل حبيبي وعبد الرحمن منيف وفسطنطين زريق، وعن غيرهم من الراحلين، وأن يكتب عن عبد الله العلايلي وحسين مروة ومهدي عامل، وآخرين من الذين ذهبوا. تبرهن مجلة الطريق، بداهة، التي أصدرها طويلاً بصحبة مثقف نير دؤوب هو محمد دكروب، على البعد اللبناني في الثقافة العربية وعلى البعد العربي في الثقافة اللبنانية، اللذين يذكران بمجلات لبنانية سابقة مثل (الأديب) و (الثقافة الوطنية)، ومجلة (الآداب)، التي لا تزال تصدر حتى اليوم.

تصدر عروبة كريم مروة، بهذا المعنى، عن بعد ديمقراطي في الثقافة اللبنانية عبر عنه، ذات مرة، ميخائيل نعيمة ومارون عبود ورئيف خوري وغيرهم، قبل أن تصدر عن كلمة غائمة ملتبسة هي: (العروبة). ذلك أن الأخيرة تفقد معناها إن لم تكن ديمقراطية، وإن لم تكن الديمقراطية علاقة داخلية فيها، وإن لم يكن المجتمع العربي ديمقراطياً، متحرراً من البلاغة الموروثة، التي تقول ما شاءت دون أن تلمس الصحيح دائماً.

الشكر كله لوزارة الثقافة اللبنانية، التي كرمت مثقفاً جديراً بالاحترام والتكريم يدعى: كريم مروة.

محطات في حياة كريم مروة

★١٩٣٠ ولادته في صور.

★١٩٤٥ بدأ الكتابة وبواكير العمل السياسي متعاطفاً مع حزب الوفد المصري ومتأثراً بشخصية النحاس باشا.

★ ١٩٤٧ عاش ببغداد سنتين في كنف ابن عم والده الكاتب والمفكر حسين مروة بهدف الدراسة.

★١٩٤٨وجد في الشيوعية ما كان يبحث عنه فاعتنق مبادئها في بغداد.

★ ١٩٤٩ عاد إلى لبنان.

★ ١٩٥٠ التقى الكاتب الأديب رئيف خوري، المبعد عن الحزب الشيوعي آنذاك، ونسج معه علاقة وطيدة. ـ★ ١٩٥٢ دخل للدراسة في الجامعة اللبنانية وانتسب رسمياً إلى الحزب الشيوعي السوري ـ اللبناني.

★ ١٩٥٣ ترأس وفداً شارك في مهرجان عالمي للطلاب في إيطاليا ومؤتمر اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي في بخارست وكان أصغر أعضاء الوفد الذي يرأسه. ومكث سنوات في بودابست عضواً في مجلس السلم العالمي نسج خلالها علاقاتٍ واسعة مع شخصيات عالمية ومنظماتٍ وأحزاب.

★ ١٩٥٦ شاهد بأم عينيه النتائج المأساوية التي نجمت عن التدخل العسكري السوفيتي في أحداث بودابست. وكانت من المحطات المفصلية في حياته.

★ ١٩٦٠ عاد إلى لبنان وعيّنه حزبه مسؤولاً ثانياً لمنطقة بيروت الكبرى.

★ ١٩٦٢ اختير مندوباً لحزبه في مؤتمر السلم العالمي.

★ن هاية عام ١٩٦٣ أبرق له الحزب الشيوعي اللبناني، الذي انفصل عن السوري، بضرورة العودة إلى بيروت على جناح السرعة. فانتخب قيادياً في الحزب وكان عمره ٣٤ سنة.

★ ١٩٦٥ أصبح عضو مكتب سياسي وسكرتيراً وإحدى الشخصيات الأساسية في الحزب الشيوعي اللبناني.

★ ١٩٦٦ قام مع جورج حاوي وآخرين بعملية تغيير داخل الحزب الشيوعي اللبناني.

★١٩٦٨ أقترح عليه أن يرشح نفسه للانتخابات النيابية في الجنوب فاعتذر. وتكرر الاقتراح عليه وتكرر اعتذاره في الأعوام ١٩٧٢ ، ١٩٩٢ ، ١٩٩٦ ، ٢٠٠٠.

★ ١٩٧٤ تزوج وهو في عمر الرابعة والأربعين.

★ ١٩٨٢ كان السبّاق إلى إطلاق (جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية) فور دخول الجيش الإسرائيلي بيروت.

★ ١٩٨٤ انتخب نائباً للأمين العام للحزب الشيوعي اللبناني، وبدأ يخصص بعضاً من وقته لممارسة الكتابة، فأصدر كتابه (حوارات) ثم (جدل الصراع مع إسرائيل وجدل السلام معها) و (الوطن الصعب الدولة المستحيلة) وأخذ من بعد ذلك يوالي إصدار كتبه الفكرية والسياسية وذات الطابع التذكاري والتوثيقي.

★ ١٩٨٧ اغتيل ببيروت قريبه المفكر حسين مروة في فصل دام من فصول الحرب الأهلية اللبنانية.

★ ١٩٩٢ قرر التفرغ لعمله الكتابي واعتذر عن تولي منصب الأمانة العامة لحزبه. لكنه قبل في النهاية برغبة من اللجنة المركزية للحزب لمدة حددها بست سنوات فقط.

★ ١٩٩٩ تنحى عن مسؤولياته الحزبية وتفرغ كلياً للكتابة.

★ ٢٧ / ٦ / ٢٠٠٤ قلده غازي العريضي وزير الثقافة اللبناني، نيابة عن رئيس الجمهورية أميل لحود، وسام الأرز الوطني من رتبة فارس باحتفال رسمي كبير في قصر الأونيسكو ببيروت.

كلمة الاستاذ محمد دكروب في الاحتفال التكريمي

كلمات قليلة في المسيرة الخصبة

يقول المثل الآتي من الحكايات الشعبية: (أكبر منك بشهر، أعرف منك بدهر).

وتقول تذكرة الهوية: أن محمد دكروب ولد في احد الشهور الأخيرة من العام ١٩٢٩.. وتقول تذكرة هوية ثانية: أن كريم مروة ولد في أحد الشهور الأولى من العام ١٩٣٠... وقول على الحساب إنني، إذن، أكبر من كريم مروة بعدة شهور...

ولكن الواقع والوقائع سارت بما يعاكس هذا المثل الشعبي، حيث ثبت لي، منذ زمانٍ الأول، أن كريم مروة هو الأعرف، وهو الرائي، وهو الأكثر حكمة، أحياناً.

ذلك أنه، وخلال لحظة سعيدة من العام ١٩٤٩، وبعد أحاديث في السياسة والثقافة والعقائد، فاجأني كريم بالقول، أن في كلامي ما يشير إلى أنني (تقدمي).. ولم أكن أعرف ما تعني بالضبط صفة (تقدمي) هذه في ذلك الزمان... ثم فهمت لاحقاً أن كلمة تقدمي تقارب كلمة: (شيوعي).

ولم يكن قد طرأ ببالي بعد، أنني قد أصير شيوعياً!...

فهل إن إشارة كريم هذه، وصداقتي العميقة له.. ثم صداقتي العميقة والخصبة مع حسين مروة.. إضافة إلى بعض قراءاتي، دفعت بي لأن أصير شيوعياً، بعد عامين من ذلك التاريخ السعيد، وإن استمر في هذا المسار إلى يومنا هذا، وحتى نهاية العمر بالتأكيد؟..

المهم أن أؤكد - في مناسبة تكريم الكريم هذه - أنه قد ثبت لي، منذ ذلك التاريخ، وعلى المدى الطويل، أن الأصغر قليلاً في السن، هو الأعرف أكثر، وهو الرائي.. أما مسألة أنه الأكثر حكمة أحياناً، فهذه ترتبط بظروفها..

منذ ذلك التاريخ سرنا معا، في الحزب وفي الحياة، سنوات وسنوات وسنوات، حتى بلغ كل منا من العمر، الآن، ما يقارب الخمسة والعشرين عاماً ق. م... أعني قبل المئة.. أي: قرابة الـ٧٥ عاماً.. ونحن، كما أزعم وترون، في ذروة من النشاط الكتابي المتزايد.

ومنذ ذلك المفصل، أول الخمسينيات، بدأنا رحلة الجهد والتدرج.. هو تدرج في المهمات والمسؤوليات والمواقع الحزبية، بما سمح له أن يخوض، في الشارع وفي القيادة مختلف المعارك التي خاضها شعبنا.. وأتاح له، بتكليف من الحزب، أن يجوب العالم، ويتولى مهمات قيادية في مؤسسات لها طابع عالمي، ويرتبط بعلاقات وصداقات مع مئات ومئات من الشخصيات والقيادات السياسيةوالفكرية والثقافية في مختلف المواقع والبلدان، ويؤدي دوراً مهماً جداً، وتاريخياً، في حركة التجديد الجذري للحزب فكراً وتنظيماً وممارسة سياسية.. تلك الحركة التي أفضت إلى المؤتمر الثاني، التاريخي، للحزب في العام ١٩٦٨.. ثم يواصل كريم تدرجه الحزبي فيصل إلى موقع نائب الأمين العام للحزب الشيوعي اللبناني.

أما أنا فقد انتقلت من مهنتي في تلك المرحلة، حيث كنت أعمل سمكرياً، وعملت في الصحافة الثقافية والسياسية التي كان يصدرها الحزب الشيوعي، وتدرجت من كاتب إلى محرر، إلى مسؤول تحرير، فإلى صفة رئيس تحرير.. بإشراف كريم مروة.. أو، حسب تحديده هو لتراتبنا في مجلة (الطريق) حيث قال: أنني أنا رئيسه وهو المسؤول عني.. على أن كريم مروة لم يكتف بأنه كان يتولى المسؤوليات والمواقع الحزبية، بل حرص على أن يمارس، ولو بين حين وحين، الكتابة السياسية والفكرية، بما يختلف عن العديد من القيادات القنوعة في الأحزاب الشيوعية العربية.

ومع تكاثر المهمات وتكاثر الأزمات، في العالم العربي وفي الحركة الشيوعية العالمية وعلى صعيد النظرية نفسها، وداخل الحزب الشيوعي اللبناني وحوله، أخذ التناقض يبرز بين طموحات كريم مروة الفكرية وتجديداته المثيرة للجدل، وبين مهماته ومسؤولياته ومواقعه الحزبية.. وكان كريم يتهرب من الاعتراف بحقيقة هذا التناقض ويحاول التوفيق بين هذه المسؤوليات وتلك الطموحات.هنا... أخذت تبرز، ولو بأشكال خجولة، ملامح من حكمة ما عند محمد دكروب - هذه المرة - بما يجعلنا نرى في ذلك المثل الشعبي بعض الحقيقة. فأخذت أزين للكريم،

وبالتلميح حيناً، وبالتصريح لاحقاً، ما كان هو فعلياً يصبو إليه (آن أن تترك مسؤولياتك الحزبية والقيادية والنشاط الحزبي اليومي، وأن تركز الجهد في الكتابة...).. وكنت، من موقعي في رئاسة تحرير مجلة (الطريق)، أطرح أمامه ضرورة الكتابة في هذا أو ذاك من الموضوعات التي تؤرقه، وتؤرقنا، مما يتجاوز التوجهات الرسمية للحزب... ممارساً، من جهتي، انتهازية أن تكون موضوعات مجلة (الطريق) أكثر إثارة للفكر وللجدل، أي أكثر انتشاراً بالتالي..

فأتيح لمحمد دكروب، بهذا، أن يقدم إسهاماً ما في إنضاج رغبة كريم نفسه أن يترك المواقع والمسؤوليات الحزبية، وأن ينصرف إلى الكتابة الفكرية النظرية والسياسية، وأن ينتج عدداً من الكتب ومن الدراسات والمقالات المثيرة للجدل والتي تستدعي النقد والمجادلة بالتأكيد، كما أنتج عدداً آخر من الدراسات التي تتناول حياة وأعمال عدد كثير من كبار الكتاب والأدباء العرب.. وهذا عالم من النادر جداً أن ترده قيادات شيوعية في عالمنا العربي.وفي ظني أنني، بهذا التحريض، اسهمت بما هو ضروري.وأحب أن أقول، أخيراً: إ